التفكير الكلامي في بواكيره الأولى
عمرو بن عُبيد أنموذجاً

محمد حسن بدر الدين

فهرس المحتويات

المقدمة:.....01

الفصل الأول: عمرو بن عُبيد: حياته وعصره.....08

المبحث الأول: التعريف بعمرو بن عُبيد.....09

المبحث الثاني: أهم الأحداث الفكرية والاجتماعية في عصره.....15

المبحث الثالث: الأحوال السياسية في مدينة البصرة.....21

الفصل الثاني: الفكر الكلامي قبل عمرو بن عُبيد.....24

المبحث الأول: بواكير الجدل الكلامي في عصر الصحابة والتابعين.....25

المبحث الثاني: المتكلّمون الأوائل.....56

معبد الجهني.....57

الجعد بن درهم.....60

غيلان الدمشقي.....63

الجهم بن صفوان.....67

الفصل الثالث: عمرو بن عُبيد بين الحديث والاعتزال.....69

المبحث الأول: عمرو ومدرسة الحديث.....70

المبحث الثاني: عمرو ومدرسة الاعتزال.....81

الفصل الرابع: آراء عمرو بن عُبيد الكلامية.....99

المبحث الأول: الجدل العقائدي.....100

المبحث الثاني: الجدل الاجتماعي والسياسي.....124

الخاتمة:.....153

قائمة المصادر والمراجع:.....155

(أ) - العربية.....155

(ب) - الأجنبية.....162

المقدمة

إشكالية البحث:

ليس البحث في الجدل الكلامي وتاريخه وشخصياته بجديد، بل هو من أقدم المواضيع التي اهتم بها الفكر الإسلامي، وبخاصة في كتب المقالات والفِرق، ثم تكاثرت الأسماء وتنوعت المناهج واختلفت المآرب والمشارب في تناول قضايا التراث وشخصياته الفاعلة قديماً وحديثاً. فما الجديد الذي يمكن أن يأتي به بحث حول بواكير التفكير الكلامي في القرنين الأول والثاني الهجريين بالتركيز على عمرو بن عُبيد وفكره الكلامي شخصية وفكراً وإضافة؟

لقد بُنيت كثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت نشأة الفكر الاعتزالي وعلم الكلام في بداياته الأولى على استنتاجات وتقريرات لم تستند على وقائع علمية، تراءت عند التدقيق والتمحيص ظنوناً بعيدة المنال قريبة من الخيال، وقد كان كثير من كتّاب التراجم والفِرق القدامى والمعاصرين ضحايا هذا الضرب من الاختزال والمقررات الجاهزة والاستنتاجات السريعة، مع أن الخوض في نشأة الكلام والاعتزال في نهاية القرن الهجري الأول يمكن تشبيهه بمن يبحث في الظلام عن سبحة انفرط عقدها منذ زمن مديد.

و فضلاً عن ذلك، فإن المصادر لم تتناول حياة عمرو بن عُبيد وبيئته وأفكاره إلا إشارات عابرة، ومن هنا كان نظم هذا العقد مطلباً نفيساً وامتحاناً عسيراً في الوقت ذاته.

ويمكن اعتبار ذلك المطلب إشكالاً أولياً أراد البحث تجليته وخوض غماره. وهو يتفرع تبعياً إلى إشكالات أخرى أهمها التساؤل عن أسباب ظهور مباحث الكلام عند عمرو بن عُبيد ومن معه في البصرة بالذات وفي ذلك الزمن.

هل تفاعلت البصرة مع هذه النشأة وتعايشت معها وقبلتها أم تعرضت للنفور والهجوم والرفض من قبل فئات أخرى بدأت أيضاً في البروز في مطلع القرن الأول، مثل رجال الحديث؟ وما طبيعة الصراع الفكري الذي ارتسمت بذوره بين أهل الرأي عامة وأهل الحديث الذين وجدوا في خلافة عمر بن عبد العزيز، رغم قصرها تأصيلاً وتمكيناً، هل كان ظاهرة طارئة على المجتمع البصري أم نبتاً أصيلاً أخذ في الترعرع والازدهار؟

ولئن كان تراث عمرو بن عُبيد الفكري قد ضاع ولم يصلنا منه شيء، إلا أن كتب الفِرق والمقالات تكفلت لا محالة بعرض شذرات متفرقة عن سيرته ومواقفه وآرائه، ولا يخفى أن تجميع هذه المتفرقات وتنسيقها في بحث موحد عملية عسيرة وصعبة المنال، ولكنها مهمة ومفيدة جداً في فهم نشوء الفكر الإسلامي وتطوره، في بواكيره الأولى، قبل أن يختلط كثيراً بألوان الفكر الأخرى، فارسية أو هيلينية.

وهي إشكالية تستحق التمحيص والتدقيق والمغامرة لأنها لم تتبلور إلى اليوم بالوجه الناصع والمرضي.

دواعي اختيار الموضوع:

اتجه البحث إلى تجلية الغموض والتناقض الشائعين حول شخصية عمرو بن عُبيد وتاريخه وقيمته الفكرية، حيث ذُكر باعتباره مؤسساً لحركة الاعتزال مع واصل بن عطاء، في حين أنه لم يحظَ بعناية الدارسين القدامى والمحدثين، بل إن الكثيرين منهم لا يذكرون اسمه إلا عابراً أو اضطراراً.

وما زاد في تعزيز الاختيار أنه لم تفرد له دراسة كاملة تتناول حياته بوضوح وتتقصى أفكاره وآراءه الكلامية بدقة.

ولم نعثرعلى دراسة منشورة خاصة به، غير دراسة لمحمد صالح السيد من كلية جامعة المنيا بعنوان: عمرو بن عُبيد وآراؤه الكلامية، نشرتها مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة عام 1985 م.

ورغم الإجماع على أهمية واصل بن عطاء وتقديم عمرو بن عُبيد تلميذاً أو تابعاً له، فإن المؤرخين، باستثناء بعض المتأخرين من المعتزلة، لا يذكرون واصل بن عطاء أصلاً. فقد أهمله أصحاب الطبقات ولم يذكره الخطيب البغدادي مثلاً في **تاريخ بغداد** ولا ابن عساكر في **تاريخ دمشق،** بينما خصصا ترجمة لعمرو بن عُبيد.

كما لا نجد ذكراً لواصل على لسان المحدّثين المعاصرين له، بينما نجدهم شنّوا حملة شديدة على عمرو بن عُبيد، رغم أن شخصيته تميزت بعمق وثراء وطرافة في الفكر والمواقف والالتزام الخلقي القويم، كما اتسمت آراؤه بالصراحة والجرأة.

قد تختلف الآراء والأذواق، إلا إن إجماع المصادر على تقديم عمرو بن عُبيد الحلقة الأضعف في ذلك الثالوث الشهير: الحسن البصري وواصل وعمرو، سيتراءى إجماعاً على خطأ، وأنه كان أعمق فكراً وتأثيراً في أهل زمانه، حتى قيل: "كأنه عمرو بن عُبيد زمانه".

طرح البحث في هذا السياق اعتراضات تعلقت أساساً بمصطلح الاعتزال وظروف تكوّنه، وإعادة النظر في مقالات شائعة اعتبرته المؤسس الفعلي لبذور حركة الاعتزال، برفقة زميله واصل بن عطاء منذ مطلع القرن الهجري الثاني.

حاول البحث أن يسهم في استرجاع بعض مواطن العطاء الفكري في تراثنا الإسلامي في جذوره الأولى، للوقوف على مدى الجهد العقلي للمسلمين وقيمته وما فيه من استقلال أو تبعية.

ومن المرجح أن دراسة عمرو بن عُبيد وآرائه كفيلة بتحقيق مقدار من هذا الاسترجاع لأنها تستدعي تدقيقاً في أهم الأحداث والشخصيات الفاعلة في عصره، وبالتالي تحقيقاً في فكره وإنتاجه، وبخاصة تلك المتعلقة بنشوء الأفكار والمذاهب الكلامية ومدى أصالتها في صياغة قضاياها، ومدى وفائها للأصول الإسلامية، بحيث تعرِّفنا إن كانت نابعة من البيئة الإسلامية، أم متأثرة ببعض الروافد والتحديات الخارجية أو الطارئة على المجتمع، من قبيل الاحتكاك ببقايا التراث الشرقي والفارسي والهندي واليهودي والنصراني الذي حمله جيل الموالي الذين دخلوا الإسلام واعتنقوه وتفاعلوا معه.

وقد كان عمرو أحد أبرز هؤلاء الموالي. وقد كانوا أكثر حملة العلم في الإسلام كما لاحظ ابن خلدون.

استهدف البحث طرح أسئلة حول مدى أصالة التجربة الكلامية الإسلامية الأولى في صياغة قضاياها قبل نشأة الفكر الفلسفي الذي مثّلته المدرسة المشائية بعيداً عن المفاهيم الإسلامية الخالصة.

هل كان عمرو متأثراً بأفكار سابقيه أم هو مبدع؟ هل قدّم إضافات معتبرة تستحق الاهتمام. هل كوّن آراء خاصة عبّرت عن أصالة الفكر الإسلامي في انطلاقته الأولى على الأقل؟ وما الدافع إلى استخدام العقل في بحث المسائل الدينية والكلامية؟ هل تأثرت تلك المباحث عند عمرو وأوائل المتكلّمين في نشوئها وتطورها **بسوابق من عصر الصحابة والتابعين؟** فعبّرت بالتالي عن فكر أصيل حرّكته دوافع وينابيع القرآن نحو البحث والإبداع والإضافة والتجاوز؟

يبدو أن هذه الإشكالات انحاز في بوتقتها كثير من المستشرقين وبعض الكتّاب العرب المعاصرين الذين اتجهوا إلى إلغاء الذاتية والأصالة عن الفكر الإسلامي في بداياته الأولى، بإسناده إلى مؤثرات فارسية ويهودية ونصرانية بدون حجج عميقة لا محالة. وقد كشف البحث أنه انحياز جائر، لأن الاجتهاد بالرأي في جميع حقول المعرفة الإسلامية منذ القرن الأول، وبالخصوص في مجال الأحكام الشرعية، كانت دوافعه أساساً قرآنية ودينية وعقلية ثم سياسية، وبخاصة لدى **طبقة القرّاء الأوائل** الذين تعرض البحث للكشف عن بعض آرائهم.

كانت طبيعة القرآن تحريضية في الأساس، وجهت أنظار المتكلّمين الأوائل إلى التدقيق والتفكر في مجال الأصول العقدية التي سمّيت بالفقه الأكبر، وبخاصة في مسائل القدر والتنزيه والعدل والاختيار والمحكم والمتشابه والإمامة.

وقد تصدى البحث لتجلية بعض تلك الأبعاد، من خلال دراسة أهم الأحداث والشخصيات الفاعلة في فكر عمرو بن عُبيد الذي عاصر، حتى وفاته عام 144 هـ، أهم الحركات العقلية التي أسست الفكر الإسلامي عامة، كما عاصر الحركات السياسية التي سادت العالم الإسلامي إبان حياته.

هذه الشخصيات الفاعلة نذكر منها مثلا الحسن البصري إمام مدينة البصرة، وواصل بن عطاء أستاذه وزميله. وقد دقق البحث في شخصية الحسن ومدرسته وتوصل إلى نتائج جديدة عرضها في الجوهر والخاتمة، كما سلّط الأضواء على شخصيات اتسمت متابعتها بكثير من التعقيد والغموض من أبرزها معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم، وقد اعتبرهم دي بور (De Boer) أسلاف المعتزلة، والغموض نفسه اتصل بشخصية الجهم بن صفوان وهو زعيم الجبرية.

يُعتبرعمرو بن عُبيد نتاج تفاعل مثمر مع أفكار ومذاهب متنوعة ومدارس سابقة ومعاصرة له، ومن خلال دراسة فكره، وفكر تلك الشخصيات والأحداث، يمكن تلمّس جذور معالم نظرية أو ملامح كلامية متفرقة.

ومن مسوغات هذا البحث ومبرراته ضرورة إعداد دراسة علمية عن عمرو تتكفل بإبراز آرائه وملامح حياته بأسلوب المنهج العلمي الحديث بعيداً عن الحشو والديباجة، فنحن في حاجة إلى البحث في المصادر واستخراج الآراء الكلامية والاجتهادات الفكرية لعدد كبير من شخصيات القرن الأول والثاني الهجريين، من أجل المزيد من تسليط الأضواء على نشأة الأفكار الإسلامية وتطورها، والتي لم تصل إلينا واضحة بسبب أن التدوين تمّ في العصر العباسي، وطمس كثيراً من الحقائق المتعلقة بالزمن الأموي.

المصادر والمراجع:

اقتضى البحث في حياة عمرو بن عُبيد وتتبع آرائه أن يكون متعدد الأبعاد، متنوع المصادر، من أجل تغطية أهم الجوانب المتداخلة المتعلقة بالسياسة والفكر والدين، باعتبارها قراءة في واقع التفكير الديني والاجتماعي والسياسي للمسلمين خلال القرنين الأول والثاني الهجريين. وربما كان هذا التداخل مع ندرة المصادر المتخصصة، أكبر حائل دون تحقيق كتابات معتبرة في الموضوع.

ترك المعتزلة تراثاً مهماً لم يتبقَ لدينا منه إلا القليل، حيث أتت عوادي الزمن وعوامل الغلو والتعصب على الكثير منه، والعدة الأولى التي منحتنا صورة عن أعمالهم وأفكارهم كُتب السنّة والحديث والتراجم، على غرار كتابات ابن عدي وابن حجر والذهبي والمزّي والخطيب البغدادي وغيرهم. وبالنسبة إلى عمرو بن عُبيد، فقد قدّمت لنا تلك الكتابات إضاءات مهمة حول شخصيته وشذرات من

أفكاره وآرائه، وإن كانت في عمومها ضمن مواطن القدح ومواقع التعريض والهجوم، على عكس كتب الأدب واللغة التي تميزت بالحياد، ما سهل مهمة المقارنة والموازنة.

ومثّلت كتابات ابن عبد ربه وأبي الفرج الأصفهاني والتوحيدي وياقوت الحموي وغيرها، إضافات معتبرة في تقرير بعض المسائل اللغوية والبلاغية وحتى التاريخية، وكانت بقية المصادر، وبخاصة التاريخية، عنصراً مساعداً في تكملة أجزاء الصورة وتحديد معالمها وبخاصة تاريخ بغداد وأنساب الأشراف والبداية والنهاية.

وبالنسبة إلى كُتب المعتزلة، فإن **موسوعة المغني** بأجزائها و**شرح الأصول** و**المحيط بالتكليف** و**انتصار الخياط** و**طبقات ابن المرتضى** وغيرها، لم تشر إلى أمر ذي بال عن أفكار عمرو بن عُبيد، باستثناء شذرات عن مناقبه في الطبقة الرابعة من **طبقات المعتزلة** للقاضي عبد الجبار، فتمّ الاستئناس ببعض المصادر الشيعية والزيدية للدعم والمقارنة، مثل الشريف المرتضى في أماليه والجندي الكندي في طبقاته.

أمّا على نطاق المراجع الحديثة، فقد تمّ التعويل على كُتب الفكر الإسلامي العامة من قبيل **ضحى الإسلام** لأحمد أمين و**مذاهب الإسلاميين** لعبد الرحمن بدوي و**المعتزلة** لزهدي جار الله و**نشأة الفكر الفلسفي** لسامي النشار و**علم الكلام** لأحمد محمود صبحي، وهي على أهميتها في توفير المادة العلمية وتحليلها، لم تطرح إشكالات حقيقية أو تجديدات فعلية تتعلق بفكر عمرو بن عُبيد أو دوره في نشأة التحرك الفكري الاعتزالي.

ولتجاوز ذلك وقع الاستئناس ببعض كتابات مشاهير المستعربين من طراز ريشارد فرانك وشارل أدامس (Charles Adams) ودانيال جيماري (Daniel Gimaret) وفان إس (Van Ess) بالخصوص في موسوعته عن علم الكلام في القرنين الأول والثاني، بهدف تحقيق موازنات أشمل ورؤى أعمق رام البحث الاقتراب منها قدر الإمكان.

منهجية البحث:

اعتمد البحث منهجيات متفرقة. منها الارتدادي، نظراً إلى طبيعة البحث المتعلقة بالتأريخ، والتحليلي المقارن، نظراً إلى تعدد الآراء والأفكار وتضاربها أحياناً والتي استدعت استقراء وتنظيماً وعقد مقارنات، من أجل تجريد الأقوال والمواقف من حمولاتها السياسية أو الطائفية ومن أهواء المؤرخين وكتّاب المقالات، والتحرر قدر الإمكان من التعصب المذهبي الذي شاع في كتابات أهل العقائد والفِرق، والاصطفاء الأنسب من بين تلك الآراء المتعارضة لما يصلح به بنيان الفكر الكلامي لدى عمرو بن عُبيد، وتقديم خلاصات استنتاجية تربط بين الأفكار السابقة واللاحقة.

سلّط البحث أولاً أضواء كشفت عن بعض خبايا تلك الشخصية، ثم توجه إلى التعريف بالاعتزال وأهم ما تعلق به تسمية وظهوراً ومنهجاً، متلمّساً من خلال ذلك بوادر الصراع الفكري بين أهل النقل وأهل الرأي منذ مولد عمرو عام 80 للهجرة.

لم يطمح البحث إلى تحليل كل تلك الأفكار وتشعباتها، وإنما وقع التركيز على تاريخية الحدث الاعتزالي من حيث كونه تمثّلاً للمنهج العقلي، ليخلص إلى شخصية عمرو بن عُبيد ودوره المفترض في بلورة الاعتزال، وإلى آرائه الكلامية. وهذا استلزم منهجياً:

- التعرض إلى الجدل عند المسلمين: متى ظهر حقيقة؟ من هم المجادلون الأوائل؟ وإلى أهم المصطلحات: مثل القدر والجبر والمعتزلة والاعتزال والمنزلة بين المنزلتين والإمامة.

● التعرف على المناخ الفكري والسياسي إلى حوالي 144 هـ، تاريخ وفاة عمرو. والتعريف بشخصيته من حيث النشأة والدراسة وحادثة الاعتزال والتأثير في المحيط الفكري.

● تحليل آراء عمرو بن عُبيد الكلامية على مستوى الجدل العقدي والاجتماعي اعتماداً على ما توفر من الروايات، تخلل ذلك مقارنة بين ثالوث الاعتزال المفترض: الحسن البصري وواصل بن عطاء وعمرو بن عُبيد.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يكون على الصيغة الآتية:

المقدمة: تناولت طرح المشكل ومبررات البحث وآفاقه وصعوباته، وتقديم لمحة عن أهدافه والمنهج المعتمد في عرض عناصره.

الفصل الأول: عمرو بن عُبيد: حياته وعصره

قسّم إلى ثلاثة مباحث:

• التعريف بعمرو بن عُبيد، وتقصي ظروف نشأته وتكوينه وطبيعة شخصيته، والعناصر المكوّنة لها، والتعريف بأهم أساتذته وتلاميذه، وبخاصة علاقته مع الحسن البصري وواصل بن عطاء تأثراً وتقاطعاً.

• التعرض إلى أهم الأحداث الفكرية والاجتماعية التي ظهرت في عصره، وبخاصة بروز مدرسة المحدّثين في عهد عمر بن عبد العزيز، ومظاهر الصراع الفكري بينها وبين مدرسة أهل الرأي.

• التعرض إلى أهم الأحداث السياسية في عصره، وبخاصة في مدينة البصرة التي نشأ فيها وتأسس فيها علم الكلام، وازدهرت فيها الحركة العلمية، وأهم الشخصيات البارزة التي تركت آثاراً مهمة في فضاءاتها السياسية.

الفصل الثاني: الفكر الكلامي قبل عمرو بن عُبيد

تناول هذا الفصل بواكير الجدل العقائدي في عصر الصحابة والتابعين، ثم تعرض للتعريف بالمتكلّمين الأوائل أمثال: معبد الجهني والجعد بن درهم وغيلان الدمشقي والجهم بن صفوان.

الفصل الثالث: عمرو بن عُبيد بين مدرستيّ الحديث والاعتزال

قسّم إلى مبحثين:

• التعريف بمواقف عمرو من الحديث والمحدّثين وإبراز ملامح الحراك الفكري الذي تكوّن بين أهل الرأي وأهل الأثر.

• تقديم تقصيات جديدة حول تسمية المعتزلة ونشأة الاعتزال، ومناقشة الروايات المختلفة حول تلك النشأة.

الفصل الرابع: عمرو بن عُبيد وجدله العقائدي والاجتماعي

قسّم إلى مبحثين:

• المبحث الأول تناول جدل عمرو بن عُبيد في مسائل العقيدة وركز على مباحث القدر والوعد والوعيد والعدل والتوحيد.

• المبحث الثاني تعمق في موضوع الأمر بالمعروف وأثره على الحياة الاجتماعية ومسائل الايمان والكفر والمنزلة بين المنزلتين ومواقف عمرو السياسية.

الخاتمة: عرضت أهم نتائج البحث.

الفصل الأول:

عمرو بن عُبيد: حياته وعصره

المبحث الأول: التعريف بعمرو بن عُبيد

المبحث الثاني: أهم الأحداث الفكرية والاجتماعية في عصره

المبحث الثالث: الأحوال السياسية في مدينة البصرة

المبحث الأول:

التعريف بعمرو بن عُبيد

صلى الإلـه عليك من متوسد ❖ قبراً مررت به على مران

قبراً تضمن مؤمناً متحنفـاً ❖ صَدقَ الإله ودان بالعرفان

لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً ❖ أبقى لنا عمراً أبا عثمان[1]

(البحر الكامل)

بهذه الأبيات رثى أبو جعفر المنصور عمرو بن عُبيد[2].

[1] - الزبيدي، **تاج العروس**، ج 29، تحقيق عبد الفتاح الحلو، طبعة دولة الكويت، 1418 هـ/1997 م، ص 469.

وهي ظاهرة فريدة حقاً في الراثي والمرثي، فالمنصور هو الخليفة الوحيد الذي رثى شخصاً دونه في المنزلة ولا يمتّ إليه بقرابة، وعمرو بن عُبيد هو الوحيد الذي رثاه خليفة.

وعندما يصدر هذا الحكم عن المنصور، وهو من هو في معرفة الناس وانعدام الثقة فيهم، فذاك دليل على قيمة عمرو. ويكفي أنه اعتبره الصالح في زمانه، وبموته فقِد الصالحون. فمن هو عمرو بن عُبيد؟ وبماذا استحق تلك المنزلة؟ وما أهميته ومكانته في الفكر الإسلامي؟ وهل تميز عن غيره من المتكلّمين والمنظّرين؟

هو أبو عثمان عمرو بن عُبيد بن باب، ولد سنة 80 هـ باتفاق، واختلف في سنة وفاته والأشهر أنه توفي سنة 144 هـ.[3]

قيل عن جده بَاب: إنه من سبي كابُل من جبال السند، وقيل: كان من سبي فارس، أمّا أبوه عُبيد، فكان نساجاً، ثم التحق بسلك الشرطة لدى الحجاج بن يوسف، فكان حارساً في بعض السجون[4].

وحسب ابن عدي: "كان أبو عمرو بن عُبيد شرطياً من شُرط الحجاج وكان شيعياً"[5].

ويبدو أن عُبيداً هذا كان سيء الخلق والسيرة[6].

فعمرو بن عُبيد هو واحد من آلاف الأطفال من الطبقة الاجتماعية التي مثّلت أغلبية الأمة في مدينة البصرة، إلا أنها أغلبية منسية. ويبدو أن محيطه العائلي لم يكن ليهيئه إلى درجة علمية ممتازة. ولكن انتشار التعليم في ربوع مدينة البصرة ساعد الكثيرين من أبناء تلك الطبقة على تجاوز أوضاعهم والبروز في المجالات العلمية.

ولقد عرف عمرو بن عُبيد بأنه "كان آية في الذكاء والحفظ" كما وصفه المرتضى في أماليه[7].

لعلّه من المفيد أن نذكر بأن عمرو بن عُبيد ولد في عهد عبد الملك بن مروان الذي مات في شوال 86 هـ، وقد امتد تملكه طيلة إحدى وعشرين سنة[8].

---

[2] - أبو جعفر المنصور هو الخليفة العباسي الثاني عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (ولد 95 هـ/714 م وتوفي 158 هـ)، تملّك عام 136 هـ حتى 158 هـ (الزركلي، **الأعلام** ج 4، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 117). حول ترجمة عمرو بن عُبيد انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 14، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 63. المسعودي، **مروج الذهب**، ج 3، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1973، ص 313. الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج 3، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1963، ترجمة رقم: 6404، ص 273. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**، ج 3، ط 1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1414 هـ/1994 م، ص 460.

[3] - وقع الاختلاف في تاريخ وفاة عمرو بين أعوام (142-143-144 هـ). انظر: المزّي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج 22، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص 123. ابن سعد، **طبقات الكبرى**، ج 7، ط 1، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421 هـ/2001 م، ص 273. ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، ج 5، ط 3، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988، ص 1750. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 13، ط 1، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصر، 1997، ص 343. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج 3، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ترجمة رقم: 336، ص 941.

[4] - الحجاج بن يوسف الثقفي (41-95 هـ) أمير العراق على عهد عبد الملك بن مروان (الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 2000، 63/23).

[5] - ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، ج 5، سبق ذكره، باب من اسمه عمرو، ص 96.

[6] - سبب اتهام عُبيد بسوء الخلق، حسب رواية نشوان الحميري، أنه كان من أصحاب الشرط بالبصرة، وكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه، قالوا: خير الناس ابن شر الناس، فيقول عُبيد: صدقتم، هذا إبراهيم وأنا آزر (نشوان الحميري، **الحور العين**، ج 1، دار أزال للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 163).

[7] - الشريف المرتضى، **الأمالي**، ج 1، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر، 1325 هـ/1907 م، ص 15، هامش 2.

[8] - عبد الملك بن مروان (62-86 هـ/646-705 م) خامس الخلفاء الأمويين، حكم من 65 هـ إلى 86 هـ (السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، لبنان، 2003، ص 206).

ومن ذكر عبد الملك ذكر الحجاج بن يوسف، وذكر الثورات التي لم تنقطع وآخرها المحاولة الانقلابية التي قادها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وسانده فيها جمع كبير من قرّاء البصرة والكوفة، وفشلت فشلاً ذريعاً، وانتهت بمجزرة دير الجماجم[9].

وبذلك يكون عمرو بن عُبيد قضى طفولته في فترة تأسيس ملك جديد وانتصاب عائلة مالكة جديدة. ورغم ما قيل عن الوضع السياسي والاجتماعي لتلك الفترة، فإنها تميزت بكونها فترة الرغبة في التحصيل العلمي، وقد أسهمت مدرسة القرّاء منذ عهد النبوة في نشر الثقافة الإسلامية والترغيب في العلم.

وإذا عرفنا أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية - بن علي بن أبي طالب - وسعيد بن جبير[10]، مثلاً، هم من القرّاء ومن مؤسسي المدرسة القرائية، عرفنا أن المنهج السائد كان الاتجاه العلمي وتثبيت بعض مظاهر التدوين، بعد أن كان الأمر يجري شفاهاً على ألسن الناس.

اهتم القرّاء بإنشاء الحلقات العلمية التدريسية الأولى في المساجد إلى جانب دورهم المعتبر في تثبيت التقليد الإسلامي المعروف بالرحلة في طلب العلم[11].

ولم يكن التفريق بين أهل الرأي وأهل الحديث موجوداً في العهد الإسلامي الأول، وكان الجدل في بعض المسائل الكلامية من جبر واختيار وتوحيد وعدل وقضاء وقدر وغيرها من المباحث شائعاً منذ عهد الصحابة والتابعين.

فهذا مثلاً، وهب بن منبه (34 هـ - 114 هـ) يروي كيف كان الصحابة وأوائل التابعين يخوضون في تلك المسائل: "صحبت ابن عباس قبل أن يصاب ببصره ثلاث عشرة سنة. وبعد أن أصيب به، وإني معه ذات يوم بمكّة، إذ قال لي: "يا ابن منبه، قدني إلى مجلس المراء!"، كان قوم يجلسون بين باب بني جمح إلى الباب الذي يليه، يتكلّمون بالجبر والقدر فقدته إليهم"[12].

---

[9] - دير الجماجم: منطقة تقع بين البصرة والكوفة، وقعت فيها معركة بين عبد الرحمن بن الأشعث والحجاج، كان النصر فيها للحجاج (ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، سبق ذكره، ص 318).

[10] - سعيد بن جبير التابعي المشهور (45-95 هـ)، قتل من قبل الحجاج لأنه شارك في الخروج مع عبد الرحمن بن الأشعث (الزركلي، **الأعلام**، ج 3، سبق ذكره، ص 93).

[11] - مجلة **الذخائر**، العدد 1، السنة الأولى، بيروت، 2000، ص 42.

[12] - الجندي الكندي، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، ج 1، ط 2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416 هـ/1995 م، ص 99.